Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ويوضّح ذلك: أن الجاحظ يعلن قائلاً: وأنا أقول إنّه ليس في الأرض كلام هو أمتع ولا آنق، ولا ألذّ في الأسماع، ولا أشدّ اتصالاً بالعقول السليمة، ولا أفتق للسان، ولا أجود تقويماً للبيان من طول استماع حديث الأعراب العقلاء الفصحاء[٢٣].

وتأييداً لذلك فإن الجاحظ في حديثه عن العامية، لا يغلبّها على الفصيحة[٢٤]. بخلاف ما ظنّ بعض دارسي العامية في العصر الحاضر. فقوّلوا الجاحظ ما لم يقل.

ويندرج مع هذا الفهم ما رآه بعض الدارسين مِنْ كُتُب في تراثنا العربي تحمل اسم «لحن العامة» فظنّوا أنّ العامية لها أصول في اهتمام العلماء العرب القدامى.

وأنَّ هذا الصنيع دعوة إلى تغليب العامية، وما ظنوا أن أصحاب المعرّب والدخيل، والذين كتبوا في لحن العامة، ما قصدوا إلّا أن ينبّهوا على ذلك، ليُجتنب لا ليُؤخذ به، ثم ليُحفظ لا ليُقاس عليه، ثم لينبّه على أنه محدود في ضوء وروده ولا يتعداه، وأنها مرحلة تاريخية انتهت بانتهاء أهلها ـ آنذاك ـ لا وظيفة لغوية تُستفاد. ولتعزيز هذه النظرة نقول:

أولاً: إنّ المعرّب الذي هو باب عند بعض الباحثين من أبواب العامية، لم يكن إلّا سياجاً عليه خوفاً من أخذ الناس به وظنهم أنه من العربية الفصيحة. واستمع إلى أبي منصور الجواليقي (ـ ٥٤٠هـ)، يقول في مقدمة كتابه[٢٥] «المعرّب في الكلام الأعجمي على حروف المعجم»: هذا كتاب نذكر فيه ما تكلمتْ به العرب من الكلام الأعجمي، ونطق به القرآن المجيد، وورد في أخبار الرسول

---

٢٣ ـ السابق: ج ١: ص ١٤٥.

٢٤ ـ ينظر: الأصول الأدبية في كتاب البيان والتبيين، د. محمد بركات أبو علي، مكتبة الرسالة الحديثة، عمّان، الأردن، ١٩٧٩م.

٢٥ ـ تحقيق / أحمد محمد شاكر، مطبعة دار الكتب المصرية، ١٩٦٩م، ط ٢.